المسلمون وأمانة الإسلام تقصيرٌ ونسيانٌ

(خطبة الجمعة للشّيخ عبد الحق شطّاب بمسجد الشّيخ أحمد حفيظ رحمه الله

يوم 4 ربيع الثاني 1434هـ الموافق لـ 15 فيفري 2013م)

الخطبة الأولى:

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفُسِنا ومن سيِّئات أعمالِنا، من يهدِهِ الله فهو المُهتد ومن يُضلل فلن تجِد له وليًّا مرشدًا،

أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له وأشهد أنّ مُحمّدا عبدُه ورسوله،

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿ 01 ﴾ " سورة النّساء.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿ 102 ﴾ "سورة آل عمران.

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ﴿ 70 ﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿ 71 ﴾ "سورة الأحزاب.

ألا وإنّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمّدٍ – صلّى الله عليه وآله وسلّم –،

وشرّ الأمور مُحدثاتها وكلّ محدثة بدعة وكلّ بدعة ضلالة أعاذنا الله من الزّيغ والضّلال،

معاشر الإخوة الكرام، في هذه الجمعة المباركة، نتناول موضوع:

المسلمون وأمانة الإسلام تقصيرٌ ونسيانٌ

معاشر الإخوة الكرام،

إنّ الله تعالى لم يخلقنا عبثًا، وإنّما خلقنا لمهمّات كبرى، ويكون نجاحنا ورسوبنا بمدى أدائنا لتلك المهمّات وإهمالها، أو تقصيرنا في أدائها.

قال تعالى:

" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿ 115 ﴾ " سورة المؤمنون.

أي مُهْمَلِينَ كما خُلِقَت البهائم، بلا مهمّةٍ وبلا ثوابٍ ولا عقابٍ.

فما هي يا ترى المهمّة الّتي كلّفنا الله بها، قال تعالى مبرزًا شأن المهمّة وعظمها، وأنّها تحتاج إلى عزيمةٍ وبذلٍ ونَفَسٍ طويلٍ وإخلاصٍ كبيرٍ وصدقٍ أكبر:

" إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿ 72 ﴾ " سورة الأحزاب.

قال ابن مسعود الأمانة : أداء الصّلوات وإيتاء الزّكاة وصوم رمضان وحجّ البيت، وصِدْقُ الحديث وقضاء الدّين والعدل في الكيْل والميزان، وأشدّ منه الودائع.

وقال أبو العالية : ما أُمِروا به ونُهوا عنه.

وقول ابن مسعود : هو الإسلام إذا لخّصنا ما قاله، وهذا ما رجّحه الطّاهر بن عاشور رحمه الله : حين قال الأمانة هي أمانة الإيمان، أي توحيد الله تعالى، أي الأمانة هو الإسلام.

فحينما عُرِضَ الإسلام على أعظم مخلوقات الله تعالى وهي السّماوات والأرض والجبال، فأبت حملها خشية ألاّ توفّيها ، وحملها الإنسان:

– وكان ظلومًا في عدم الوفاء بالأمانة.

– وكان جهولاً في عدم تقدير قدر إضاعة الأمانة، من المؤاخذة والمحاسبة على تقصيره وتفريطه.

إخوتي الكرام،

هناك أمانةٌ حملناها في أعناقنا وهي أمانة الإسلام، أمانة الحفاظ على أركانه، أمانة تبليغه ونشره والدّفاع عنه في المجتمع،

فهل وَفَّيْنَا حقّ هذه الأمانة؟.

كل واحدٍ مِنّا في عنقه هذه الأمانة، أمانة الإسلام.

الصّحابة رضوان الله عليهم، بايعوا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على الحفاظ وحماية هذه الأمانة.

ثبت في البداية والنّهاية، بإسنادٍ قويٍّ جيّدٍ عن عبادة بن الصّامت رضي الله عنه، قال:

(**بايعنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم على السّمع والطّاعة في النّشاط والكسل، والنّفقة في العُسْر واليُسْر، وعلى الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، وعلى أن نقول في الله لا تأخذنا فيه لَوْمَةَ لائمٍ، وعلى أن ننصر رسول الله إذا قدم علينا يثرب، ممّا نمنع به أنفسنا وأرواحنا وأبنائنا ولنا الجنّة، فهذه بَيْعَة رسول الله الّتي بايعناه عليها**) والحديث له طُرُقٌ أخرى صحيحةٌ على شرط الشّيخين.

فهي بيعة على التزام أركان الإسلام، وعلى نصح المسلمين، والنّهي عن المنكرات، وقول الحقّ في كلّ الأحوال، والدّفاع عن الإسلام، كلّ واحدٍ مِنّا يوم نطق بالشّهادتين له بيعةٌ، وهذه البيعة مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

هي بيعةٌ قبل أن تكون مع رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، هي بيعة مع الله تعالى جلّ جلاله، قال تعالى:

" **إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ 10 ﴾** " **سورة الفتح**.

فهي بَيْعَةٌ على التزام الإسلام، وبيعةٌ على نشره، وبيعةٌ على الدّفاع عنه، فمن فعل كلّ ذلك وعده الله تعالى:

" **. . . وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿ 10 ﴾** " **سورة الفتح**.

ولكم أن تتصوّروا هذا الأجر العظيم.

فإذا أحبّ الواحد مِنّا أن يعرف مدى وفائه بهذه الأمانة فلينظر إلى موقع الإسلام في حياته.

– هل هو مركز حركته؟، أمّا أنّ الإسلام هو آخر اهتماماته، هل هو مركز تفكيره؟، أم هو على الحافّة مركونٌ على جانب الطّريق.

– إذا أَقْبَلْتَ على زواجٍ، هل الإسلام هو مركز اهتمامك؟، إذا كان كذلك اخترت التّقِيّةَ ولو كانت أقلّ جمالاً.

– إذا تاجرت، فما موقع الإسلام من تجارتك؟، هل أدّيْت زكاتك؟، هل اجتنبت الرّشوة؟ إلخ ..

– وأنت صحفيٌّ، هل دافعت عن الإسلام ونشرت حقائقه؟.

– وأنت قاضٍ، هل حرصت على العدل الّذي تأمر به الشّريعة؟.

– كونك بائعًا، هل اجتنبت الغشّ والكذب؟.

– هل أنت حريصٌ على أداء أبنائك للطّاعات؟.

– هل أنت حريصٌ على ارتداء بناتك للحجاب؟.

أُنظر إلى هذه الأحوال لتعرف هل أدَّيْتَ أمانة الإسلام أم نسيتها، أم أنّك مقصّرٌ في أدائها.

– واسمعوا قول الشّيخ البشير الإبراهيمي حينما قال قولته المشهورة: (**إنّ هذا الإسلام كالزّجاجة، كلّ جيلٍ يسلّمها للّذي بعده، الويْل لمن تسقط من يده**).

أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه، إنّه هو الغفور الرّحيم.

الخطبة الثّانية :

الحمد لله حمدًا كثيرًا مباركًا، كما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، أحمده على نعمه، وأشكره على فضله وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدا عبده ورسوله ،

– هذا نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، يعطينا المثل الأعلى في جعل الإسلام مركز تفكيره وحركته، وهو في الهجرة إلى المدينة وقريشٌ تطلبه، لا يمنعه ذلك من أداء تكليف تبليغ رسالة الله تعالى، ففي كراع الغميم، يلقى بريدة بن الحصيب الأسلمي في ثمانين من قومه، فيدعوه وقومه إلى الإسلام، فيُسْلِمُوا فيُصلِّي بهم العشاء، ويعلّمه صدرًا من سورة مريم.

– ولقد أعطانا الله في كتابه عبرةً من قصّة يوسف عليه السّلام، وهو في غياهب السّجن ووحشته، لا يَنْسَ مهمّة الأنبياء، وهي الدّعوة إلى التّوحيد والإسلام، فيسأله صاحباه عن رؤياهما، فلا يستأنس بالجواب على الرّؤيا، والّتي سترفع مقامه عند النّاس، بل يدعوهم إلى التّوحيد أوّلاً، مُقَدِّمًا الأَوْلَى فالأَوْلَى، فيقول لصاحبيه ، قال تعالى:

"يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿ 39 ﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿ 40 ﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿ 41 ﴾ " سورة يوسف.

– هذا موقف من جعل الإسلام مركز تفكيره، مركز تحرّكه، مركز هدفه، مركز غاية وجوده.

إنّ الّذين جعلوا الإسلام مركز حياتهم، لا يغيّرهم لا مالٌ ولا جاهٌ، ولا سلطانٌ ولا منصبٌ ولا امرأةٌ.

– فهذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز الخليفة الخامس، كان له واليًا على خراسان الجرّاح بن عبد الله، شكاه أهل خراسان بأنّه لا يشجّع النّاس على الدّخول في الإسلام، وأنّ هناك عشرين ألفًا تقدّموا إلى الجهاد بعد أن أسلموا لا يصرف لهم عطاءًا، ومثلهم قد أسلموا من أهل الذّمّة يؤخذون بالخراج.

فكتب إليه عمر لِتَوِّهِ: (**انظر من صَلَّى قِبَلك إلى القبلة، فضع عنه الجزية**).

ولمّا أشار بعض رجال الحكومة في خراسان على الجرّاح بإقامة السُّنَّةِ فيمن يدخلون الإسلام وذلك بأن يأمرهم بالإختتان، فلمّا كتب الجراح إلى عمر يستأذنه، فكتب إليه عمر: (**إن الله بعث محمدًا داعيًا، ولم يبعثه خاتنًا**).

وقال مِثْلَ ذلك لواليه بالبصرة، حينما شكى له دخول النّاس في الإسلام من أهل الذّمّة ولا بد من اختيارهم بالختان، فقال له: **(إنّ الله بعث محمدًا هاديًا ولم يبعثه جابيًا ولِيُسْلِمَ كلّ النّاس ولأصبح أنا وأنت حرّاثين) .**

عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، كان يومًا يَقْسِمُ تفّاح الفيء، فتناول إبنه الصّغير تفّاحةً، فانتزعها منه فأوجعه، فذهب الطّفل إلى أمّه واشترت له تفّاحًا من السّوق، فلمّا دخل البيت وجد ريح التّفّاح، وقصّت عليه القصّة، فقال عمر بن عبد العزيز: (**لكن كرهت أن أضيّع نفسي من الله عزّ وجلّ بتفّاحةٍ من فَيْءِ المسلمين**).

هؤلاء كان مركز حياتهم الإسلام، لم تغيّرهم دنيا، ولا مالٌ ولا جاهٌ ولا مركزٌ، يمشون على الأرض وقلوبهم معلّقة بالسّماء، معلّقة برضوان الله تعالى، تفكّر في حماية الإسلام، في نصرته، في نشره، في علوّ رايته.

اللّهمّ أهدِنا فيمن هديْت وعافِنا فيمن عافيْت وقِنا شرّ ما قضيْت،
اللّهمّ لا تَدَعْ لنا في مَقامِنا هذا ذنبًا إلاّ غفرته، ولا دَيْـــنـــًا إلاّ قضيْته، ولا مريضًا إلاّ شفيْته، ولا حاجةً من حوائج الدّنيا أو الآخرة لك فيها رضًا ولنا فيها صلاحاً إلاّ قَضيْتها لنا ويَسَّرتَها لنا، يا أرحم الرّاحمين.
اللّهم إنّا نسألك فِعل الخَيْرات، وتَرْك المنكرات، وحُبّ المساكين، وإذا أردت بْقَوْمٍ فِتنةً فتَوَفَّنا غير فاتنين ولامفتونين.
اللّهم إنّا نسألك حُبَّك وحبّ من أحبّك وحبّ كلّ عمل يُقرّبنا إلى حبّك.
اللّهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أيّامنا يوم لقاك.
اللّهم لا تأخذنا على حين غِرّة، ولا على حين غفلة.
اللّهم إنّك عفوٌّ تحبّ العفو فاعف عنّا، اللّهم إنّك عفوّ تحبّ العفو فاعف عنّا.
اللّهم انصر الإسلام والمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها واخذُل ودمِّر أعداء الدّين في مشارق الأرض ومغاربها،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
اللّهم انصر المظلومين في سورية وفي سائر بلاد المسلمين،
إنّك على كل شيء قدير وبالإجابة جدير وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.
سبحانك اللّهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلاّ أنت نستغفرك ونتوب إليك.